

لقد كتب عليه السلام
آلاف الأبيات الشعرية
باللغة العربية والأردية والفارسية،
ولكنه لم يكن شاعرا كغيره من
الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم،
ويمدحون أصحاب السلطان رغبة في
الحصول على الأجر ونوال العطايا،
ولكنه كان يحمد ربه ويثني عليه الثناء
الجميل، ويتغنى بشكره وفضله عليه.
ولعل بعض الناس يأخذ الظن بأن
قرض الشعر أمر لا يليق بالأنبياء،
حيث قال تعالى عن نبيه المصطفى ﷺ:
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٧٠)
ولقوله تعالى في سورة الشعراء:
﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ
أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٥-٢٢٧)

إن عدم تعليم الله تعالى لرسوله قرض
الشعر كان من أجل ألا يختلط على
الناس أمره في الفصاحة والبلاغة. فرغم
أن لسانه كان لسانا عربيا، إلا أن الله
لم يؤته ملكة قرض الشعر، حتى لا
يظن الناس أن بلاغة القرآن جاءت
من ملكاته الشخصية، أو أنها كانت
من نتاج قدراته الأدبية. أما سيدنا أحمد
عليه السلام فلم يكن عربي المولد أو

ومن آيات رحمة العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القرى

بقلم الأستاذ: مصطفى ثابت *

تحت سلسلة السيرة المطهرة يتناول الكاتب
سيرة حضرة ميرزا غلام أحمد
الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ
مُبْرَزًا الوقائع والأحداث الهامة
من حياة حضرته المطهرة

رأينا في الحلقة الماضية كيف أن سيدنا
أحمد ﷺ كان شغف بحب الله
تبارك وتعالى، وبحب رسوله الكريم ﷺ،
وحب كتابه العزيز الذي لا يمسه إلا
المطهرون. وكان منذ حداثة سنه يقضي معظم
أوقاته في المسجد، ويميل إلى العزلة عن الناس
والتبتل إلى الله بمفرده. وقد كتب سيدنا أحمد
يدعو الناس إلى معرفة الإله الحق وعبادته،
وعبر عن مشاعر الحب والود نحو الله تعالى
في أبيات شعرية جميلة ذكرنا جانباً منها في
الحلقة السابقة.

* كاتب من مصر

المنطق، والله سبحانه لم يُنزل عليه قرآنا، فلم يكن هناك من احتمال لاختلاط الأمر على الناس، وقرضه الشعر في هذه الأحوال يُعد معجزة من الله تبارك وتعالى، آتاه إياها تدليلا على تأييده له وتصديقا لدعواه، وبذلك يتضح أن الله تعالى قد أتى البلاغة لنبيه الأكرم ﷺ كما آتاه لعبده الإمام المهدي عليه السلام.

وغني عن القول أن الله تعالى حين أدان سلوك بعض الشعراء المحترفين، الذين يتكسبون من شعرهم، ويهيمون في كل واد يرتقون من صناعة الشعر، بالمبالغات التي قد تنافي الحقيقة وتعتبر نوعا من الكذب، فإنه قد استثنى الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، فقال استكمالا للآيات السابقة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٥-٢٢٨)

ومع أن رسول الله ﷺ نفسه لم يكن يقرض الشعر، إلا أنه لم يمنع صحابته الكرام من قرض الشعر، بل اتخذ له صحابة من بعض الشعراء، من أمثال

حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي اشتهر بلقب "شاعر الرسول". وكان ﷺ يحثهم على قرض الشعر، ليردوا على قصائد الكفار التي كانوا يهجون بها الإسلام ورسوله ﷺ، وكان يدعو لهم بالتأييد من الله تعالى، فكان يقول لحسان كما جاء في البخاري: "أَهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِرِيلَ مَعَكَ." (البخاري، كتاب بدء الخلق). وفي رواية: "أَهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ، اللَّهُمَّ أَيِّدْ بَرُوحَ الْقُدُسِ" (مجمع الزوائد للهيثمي، كتاب الأدب) أما القصائد التي تغنى بها سيدنا أحمد عليه السلام، فكان معظمها في حمد الله تعالى والثناء عليه، والتحديث بنعمه وتأييده وشكره على أفضاله ومنه، كما أنه قرض الشعر لنعث خير الخلق وسيد الأنبياء ﷺ. وهنا ننقل إلى دوحة أخرى من دوحات الحب التي زرعها سيدنا أحمد عليه السلام، مُعبرا بها عن عظيم محبته لرسول الله ﷺ. لقد كان مصداقا لقول الله تعالى في كتابه الحكيم الذي يقول فيه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)

وكان هو خير من ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وماله".

وكان يُدرك تماما معنى الوحي الذي تلقاه من الله تعالى الذي يقول فيه: «كل بركة من محمد ﷺ فتبارك من علم وتعلم». ولذلك لم يكن من شيء في قلب سيدنا أحمد عليه السلام بعد حب الله تبارك وتعالى سوى حب رسوله ﷺ. لقد قرأ عنه منذ صغره، وتعلم صفات وشمائل ذلك الإنسان الأكرم، وأدرك عظمة ذلك النبي الذي كان رحمة للعالمين؛ فتعلق به قلبه، واستهام به حبا، حتى لكأنه قد أسكره ذلك الحب، فصار نشوان يفيض قلبه بالحب، وتنساب أحاسيسه ومشاعره على لسانه في كلمات رقيقة يُناجي بها محبوبه، فلا يهتم لانتقاد المعارضين، ولا يكثر لمطاعن المخالفين، ولا يأبه لفتاوى التكفير، ولا يتأثر بحمم اللعنات التي صبوها عليه صبوا، فيقول في إحدى قصائده باللغة الفارسية ما معناه: "من بعد حب الله إني قد سكرت بعشق محمد ﷺ، فإن كان ذلك هو الكفر فوالله إني كافر أشد الكفر". وقد ترجم الأستاذ نادر الحصني.. وهو أحد الإخوة الأدباء الكرام من سوريا، ويقيم حاليا في كندا.. هذين البيتين، وصاغهما شعرا رقيقا باللغة العربية فقال:

إِنِّي لَنَشْوَانُ بِعِشْقِ مُحَمَّدٍ مِنْ بَعْدِ حُبِّ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
إِنْ كَانَ هَذَا الْكُفْرَ إِنِّي لَكَاْفِرٌ رَبِّي شَهِيدٌ قَدْ سَبَّانِي جَمَالُهُ

ويذكر حضرة ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه مظاهر هذا الحب الذي رآه بنفسه، وهو أحد أنجال سيدنا أحمد عليه السلام، حيث قال:

”لقد وُلدتُ في بيته، وهذه نعمة كبرى من الله تعالى لا يمكن لي أن أشكره عليها حق الشكر. ولا بد لي أن أُسَلِّمَ نفسي إلى الله يوماً ما، فأقول مستحلفاً بالله: إنه لم يحدث ولا مرة واحدة أن ذَكَرَ حضرته رسولَ الله ﷺ أو حتى اسم محمد ﷺ إلاَّ واغرورقت عيناه بالدموع. فإن قلبه.. وعقله.. وكل ذرة من ذرات كيانه.. كانت عامرة بحب رسول الله ﷺ نابضة بغرامه“. (سيرة المهدي) هذه شهادة أحد أبنائه الذي قضى في معيته زمناً طويلاً، وكان يراقبه عن كثب في جميع أحوال حياته، وهو يُقسم بالله على أن عاطفة المحبة لرسول الله التي كان ينبض بها قلبه، كانت تعبر عنها الدموع التي دائماً ما تتقاطر من عينيه كلما ذُكرَ أمامه اسم حبيبه.

وفي مناسبة أخرى كان يجوب صحن المسجد المبارك، وهو مسجد صغير يتصل بداره عليه السلام، وكان يذهب ويجيء وحده وهو يُتمتم بكلمات، بينما تنسكب الدموع من عينيه جارية على خديه. وحدث أن دخل المسجد أحد صحابته، فانزعج لما رآه يبكي بهذه الصورة وهو وحده، فظن أن أمراً خطيراً قد ألمَّ به، فسأله مضطرباً: ”ماذا جرى يا سيدي؟“ فرد عليه قائلاً: ”كنتُ أردد بيتين من شعر سيدنا حسان، وكنت أتمنى يا ليتني كنتُ أنا قائلهما“.

كان البيتان اللذان يرددتهما سيدنا أحمد عليه السلام هما قول حسان بن ثابت في رثاء رسول الله ﷺ:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِيهِ فَعَمِيْ عَالِيكَ النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيْمَتْ فَعَالِيكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

هكذا كان ذلك الإنسان الذي ملك حبُّ رسول الله قلبه ووجدانه، فرغم أنه تحمّل الكثير من المشاق وكابد المصاعب، وتعرض للمصائب، وذاق الأمرين على أيدي أعدائه الذين لم يدّخروا وسعاً في إيذائه والإساءة إليه، ورغم أنه صبر على قضاء الله عند وفاة أولاده وأعزائه وصحابته، إلا أن مشاعر الحزن والألم تعصر قلبه عند ذكر وفاة حبيبه ﷺ التي مضت عليها ثلاثة عشر قرناً، ونراه يردد أبيات حسان بن ثابت، وتجوّد عيناه بفيض من الدموع، وتتدفق عواطفه المتأججة متمنية لو أن لسانه هو الذي جاد بذلك الشعر الرقيق الجميل.

ما أعظّمك يا حبيبَ رسولِ الله وما أعظّم حبّك ووفاءك لسيد خلق الله! وما أشقى هؤلاء الذين لم يعرفوك ولم يتعلموا منك أشرفَ وأطهرَ مشاعر الحب، ولم يروا منك أجمل وأحلى ألوان الوداد والغرام!

كان عليه السلام في أكثر مراحل حياته معتل الصحة عليل الجسد، وكان يعاني طوال عمره الشريف من مرضين هما الصداع المزمن وكثرة التبول، مما جعل ذلك أحد الموانع التي منعتة من السفر لتأدية فريضة الحج. وحدث مرة

كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعده كل ما في السماوات، وبعده كل ما ظهر واختفى، وبلغه منا سلاماً يملأ أرجاء السماء. طوبى لقوم يحمل نير محمد ﷺ على رقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وحالطه وفي حبه فنى.

يا سكان أرض أوطأته قدم المصطفى..
رحمكم الله ورزى عنكم وأرضى..
إن ظني فيكم جليل، وفي روعي للقائكم غليل، يا عبادة الله. وإني أحن إلى عيان بلادكم، وبركات سوادكم، لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كحل عيني تلك الثرى.

(مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية ج ٥ ص ٤١٩ - ٤٢١)

وفي مكان آخر كتب يقول موجهاً كلامه إلى مشايخ الهند وأفغانستان ومصر وغيرها من الممالك:

"ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القرى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمية، فرقع الظلمات كلها، ووضع سراجاً منيراً أمام كل عين ترى. ما عندنا لفظ نشكر به على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائم الكرى. تلقى كل هم وعم للدين بطيب النفس لثأب ترى، وسن بذل

ويحب اللغة العربية، ويجب أرض الحجاز التي شرفتها أقدام رسول الله ﷺ، بل كان يحب تراب تلك الأرض ويتمنى أن يزورها، ويجعل من ذلك التراب كحلاً تكتحل به عيناه. وقد عبر عليه السلام عن هذه المحبة في الجزء الذي كتبه باللغة العربية من كتاب "مرآة كمالات الإسلام"، فاستهل قائلاً في فصل منه وجه فيه الخطاب إلى مشايخ العرب وصلحائهم:

"السلام عليكم، أيها الأتقياء الأصفياء، من العرب العرباء. السلام عليكم، يا أهل أرض النبوة وجيران بيت الله العظمى. أنتم خير أمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقوم أن يبلغ شأنكم. قد زدتم شرفاً ومجداً ومنزلاً. وكافيتكم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وطناً ومأوى ومولداً. وما أدراكم من ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتم الرسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كل من دب على رجلين ومشى. وقد أدرك وحيه كل فائت من رموز ومعان ونكات غلى. وأحيا دينه كل من كان ميثاً من معارف الحق وسن الهدى. اللهم فصل وسلم وبارك عليه بعداد

أنه كان مريضاً وراقداً في سريرته، وكانت زوجته أم المؤمنين تُجالسه الحجره ومعهما حضرة مير ناصر نواب والد أم المؤمنين. وكان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث فجرى ذكر الحج، فقال مير ناصر نواب لابنته إنه قد آن الآوان للاستعداد للسفر لأداء شعائر الحج، فقد صارت تسهيلات السفر ميسرة. كان سيدنا أحمد عليه السلام يسمع هذا الكلام بينما كانت عيناه تفيضان بالدموع، فكان يمسحهما بكفيه ويقول: "هذا صحيح.. ولكم أود ذلك من أعماق قلبي، ولكني أفكر: هل سأحمل رؤية قبر رسول الله ﷺ؟"

يا سبحان الله! هذا حديث عادي من الأحاديث الكثيرة التي عادة ما تجري في البيوت، ولكننا نلمح من خلاله ذلك البحر الزاخر من المحبة التي كان يموج بها قلب سيدنا أحمد عليه السلام. إنه على بعد آلاف الأميال من قبر الرسول ﷺ، ولكن العبرات تتقاطر من عينيه مجرد تصور أنه يقف أمام ذلك القبر المطهر، ويتساءل.. هل من الممكن أن يتحمل رؤية قبر حبيبه.

لقد كان عليه السلام يحب الرسول ﷺ حبا جما، كما كان يحب أيضا كل ما يتعلق بمحبوبه.. فكان يحب العرب،

النفس لله لكل من يطلب المولى. فَنَى في الله.. وسَعَى لله.. ودَعَا إلى الله.. وطَهَّر الأرضَ حقَّ طهارتها، فبِا عَجَبًا للفتى! رَبِّ.. اجزِ منا هذا الرسولَ الكريمَ خيرَ ما تجزي أحدًا من الورى. وتوقنا في زمرته، واحشُرنا في أمته، واستقنا من عينه، واجعلها لنا سقيا. واجعله لنا الشفيعَ المشفعَ في الأولى والأخرى. رَبِّ.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآونا هذا الدرَى. رَبِّ.. يا ربِّ.. صلِّ وسلِّم وباركْ على ذلك النبيِّ الرؤوفِ الرحيم، وعلى كلِّ من أحبه وأطاع أمره وأتبع الهدى." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٣٦٤-٣٦٦)

لم يكن من الغريب إذن لهذا الحب أن يتغنى بمدح حبيبه، ولم يكن من العجيب أن تنساب منه الكلمات عذبة شجية، لا تكلف فيها ولا تصنع، وإنما هي كالنسمات الندية.. تهب على قاطن الصحراء بشمسها الحارقة، فتصيبه رطبا وبردا وسلاما، وهي كحبات المياه العذبة الباردة.. تلمس شفقي الظمان الذي يكاد يموت عطشا، فترد إليه الحياة بشرب أعذب السقيا. إن أول قصيدة كتبها عليه السلام باللغة العربية كانت في مدح حبيبه سيد الأنبياء، ومنها نقتطف هذه الأبيات:

يَسْعَى إِلَيْكَ الْخَلْقُ كَالظَّمَانِ
تَهْوِي إِلَيْكَ الزُّمُرُ بِالْكَيزَانِ
نَوَّرَتْ وَجْهَهُ الْبِرُّ وَالْعُمُرَانِ
رَيْقُ الْكِرَامِ وَنُخْبَةُ الْأَغْيَانِ
خُتِمَتْ بِهِ نَعْمَاءُ كُلِّ زَمَانِ
وَبِهِ يُبَاهِي الْعَسْكَرُ الرُّوحَانِي
وَالْفَضْلُ بِالْخَيْرَاتِ لَا بِزَمَانِ
وَاهَا لِإِعْجَازِ فَمَا أَحْيَانِي
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعِثْتَ ثَانِ
وَالْقَوْمُ بِالْإِكْفَارِ قَدْ آذَانِي
أَنْتَ السَّبُوقُ وَسَيِّدُ الشُّجْعَانِ
يَا سَيِّدِي أَنَا أَحَقُّرُ الْغُلَمَانِ
فِي مُهْجَتِي وَمَدَارِكِي وَجَنَانِي
لَمْ أَخْلُ فِي لِحْظٍ وَلَا فِي آنِ
يَا لَيْتَ كَانَتْ قُوَّةُ الطَّيْرَانِ

يَا عَيْنَ فَيْضِ اللَّهِ وَالْعِزِّفَانِ
يَا بَحْرَ فَضْلِ الْمُنْعَمِ الْمَنَّانِ
يَا شَمْسَ مُلْكِ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
لَا شَكَّ أَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْوَرَى
تَمَّتْ عَلَيْهِ صِفَاتُ كُلِّ مَزِيَّةٍ
هُوَ فَخْرُ كُلِّ مُطَهَّرٍ وَمُقَدَّسٍ
هُوَ خَيْرُ كُلِّ مُقَرَّبٍ مُتَقَدِّمٍ
إِنِّي لَقَدْ أَحْيَيْتُ مِنْ إِحْيَائِهِ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَيَّ نَبِيَّكَ دَائِمًا
يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ بِأَبْكَ لَاهِفًا
لِلَّهِ دَرْكُ يَا إِمَامَ الْعَالَمِ
أَنْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ وَتَحَنُّنِ
يَا حَبِّ إِنَّكَ قَدْ دَخَلْتَ مَحَبَّةً
مِنْ ذِكْرِ وَجْهِكَ يَا حَدِيقَةَ بَهْجَتِي
جِسْمِي يَطِيرُ إِلَيْكَ مِنْ شَوْقٍ عَلا

(مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥ ص ٥٩٠، ٥٩٢-٥٩٤)

ويقول إن الله سَمَّاني نبيًا بوحيه، وكذلك سُمِّيتُ من قبلُ على لسانِ رسولنا المصطفى. وليس مُرادُه من النبوة إلا كثرةُ مكالمةِ الله وكثرةُ أنباءٍ من الله وكثرةُ ما يُوحى. ويقول: ما نَعني من النبوة ما يُعنى في الصحف الأولى، بل هي درجةٌ لا تُعطى إلا من أتباع نبيِّنا خيرِ الورى. وكل مَنْ حصلَتْ له هذه الدرجة.. يُكلم اللهُ ذلك الرجلَ بكلامٍ أكثرَ وأجلى، والشريعةُ تبقى بحالها.. لا يُنقصُ منها حكم ولا تزيدُ هُكًى.

ويقول إني أحدٌ من الأمة النبوية، ثم مع ذلك سَمَّاني الله نبيًا تحت فيض النبوة المحمدية، وأوحى إليَّ ما أوحى. فليست نبوتي إلا نبوته، وليس في جُبِّي إلا أنواره وأشعَّتُهُ، ولولاه لما كنتُ شيئًا يُذكرُ أو يُسمَّى. (الإستفتاء، الخزانة الروحانية ج ٢٢ ص ٦٣٧)

ومن كلامه المنظوم ما تعريه: "إنه مقتدانا الذي اقتبسنا منه كل هذا النور.. اسمه محمد وهذا هو حبيبي الوحيد. نفسي فدئى لذلك النور الذي لم أكن إلا بفضلِه، فهو كل شيء، ولست أنا بشيء". وفي قصيدة عربية أنشد يقول:

للدفاع عن الإسلام، والذود عن شرف سيدنا محمد المصطفى ﷺ، فإنه كان حين يتقدم إلى سيده ومطاعه ﷺ، يخضع له كتلميذٍ مجذِّ غلبه الوفاء تجاه أستاذه، وكخادم أمينٍ ملكته الطاعة والاحترام نحو سيده، وكان يُقدم إليه كل زهرة يجتنيها وكل ثمرة يقنتيها قائلًا: كل هذا من فضلك وفضل أتباعك، ولولاك أنت لما كنتُ أنا شيئًا مذكورًا. فكتب عليه السلام مرة يقول ما تعريه:

"وإني أقسم به (ﷺ) أنه تعالى كما شَرَّفَ بالمكالمة والمخاطبة إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى والمسيح ابن مريم، ثم في الأخير كَلَّمَ نبيِّنا ﷺ - بحيث كان الوحي النازل عليه أوضح وأطهر ما يكون - كذلك تمامًا شَرَّفَني بمكالمته ومخاطبته. ولكن قد مُنحتُ هذا الشرف بسبب اقتدائي الكامل بسيدنا محمد ﷺ. لو لم أكن من أمته لما نلتُ شرف المكالمة والمخاطبة أبدًا وإن كانت أعمالي مثل جبال الدنيا كلها. (التجليات الإلهية، الخزانة الروحانية ج ٢٠، ص ٤١١، ٤١٢)

ويقول بالعربية في مكان آخر: ولا يقول هذا العبدُ إلا ما قال النبيُّ ﷺ، ولا يُخرج قدمًا من الهدى.

حقا ما أعظمك يا رسولَ الله، فأنت الذي بعثك الله تعالى رحمة للعالمين، وبفضل أتباعك وطاعتك يصل أحباؤك إلى أعلى الدرجات وأعز المقامات. وما أعظمَ حبيبك.. الإمام المهدي والمسيح الموعود.. الذي قال الله تعالى له: (أنت مَنِي بمنزلة توحيدِي وتفريدي.. أنت مَنِي بمنزلة لا يعلمها الخلق)، ومع ذلك فإن حبيبك هذا يناجيك.. ويدق على بابك لاهفًا، ويشتكى إليك أن قومه قد آذوه بالإكفار والتكفير، ولكن كل هذا في سبيل حبك يهون، وتكفيه منك نظرة برحمة وتحن، ويقف أمامك بكل احترام وخضوع وتقدير، ويقول لك: يا سيدي.. أنا أحقر الغلمان.

أي قسوة تلك التي اعترت هذه القلوب التي آذته بالتكفير؟ وأي عماية تلك التي أصابت هذه الأعين فلم تبصر نور المحبة التي أضاءت بها أرجاء قلبه؟ وأي صمم ذلك الذي أصاب تلك الآذان فلم تسمع تلك الكلمات التي تقطر حنانا وودادا ومحبة. بل إنهم وصموه بالكفر، وحاولوا إخراجه هو وأتباعه من دين حبيبه محمد المصطفى ﷺ. فما أتعسهم حقًا وما أشقاهم من قوم! إنه برغم الخدمات الجليلة التي قدمها

وَمَا لِي سِوَاكَ مُعَاوِنٌ يَدْفَعُ الْعِدَا
 وَقَدْ مَسَّنَا ضُرٌّ وَجَعْنَاكَ لِلنَّدى
 وَلَا سِيَّمَا عَبْدًا تُسَمِّيهِ أَحْمَدًا
 وَفَاقَ قُلُوبَ الْعَالَمِينَ تَعْبُدَا
 شَفِيعَ الْوَرَى أَحْيَا وَأَذْنَى الْمُبَعَّدَا
 أَصْرَ بِشَقْوَتِهِ عَلَيَّ مَا تَعْوَدَا
 كِتَابَ كَرِيمٍ يَرِفِدُ الْمُسْتَرْفِدَا
 فَيُعْطِي لَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ سُودًا
 وَدَعَّ كُلَّ مَتَّبِعٍ بِهَذَا الْمُقْتَدَى
 وَمَنْ جَاءَهُ صِدْقًا فَنَوَّرَهُ الْهُدَى
 وَلَاخَ عَلَيْنَا وَجْهَهُ الطَّلُقُ سَرْمَدَا
 وَكَافٍ لَنَا هَذَا الْمَتَاعُ تَزْوُدَا
 فَأَصْبَحْتُ مِنْ قِيَّصَانِ أَحْمَدِ أَحْمَدَا
 وَمَا كَانَ مِنْ أَلْطَافِهِ مُسْتَبْعَدَا
 وَيَعْلَمُ رَبِّي أَنَّهُ كَانَ مُرْشِدَا
 سُلالَةَ أَنْوَارِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدَا
 شَفِيعِ الْبَرَايَا مَنْبَعِ الْفَضْلِ وَالْهُدَى
 حَكِيمِ بِحِكْمَتِهِ الْجَلِيلَةِ يُفْتَدَى
 وَنَوَّرَ أَفْكَارَ الْعُقُولِ وَأَيَّدَا
 دُكَّاءَ مُنِيرٍ بُرْجُهُ كَانَ بُرْجُدَا
 شَفِيعِ يُزَكِّيْنَا وَيُدْنِي الْمُبَعَّدَا
 وَفَاقَ جَمِيعًا رَحْمَةً وَتَوَدَّدَا
 وَأَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ النَّدى
 جَمَاعَةً قَوْمٍ كَانَ لَدَّا وَمُفْسِدَا

وَأَنْتَ إِلَهِي مَأْمَنِي وَمَفَازَتِي
 عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَأَنْتَ مَلَاذُنَا
 وَلَكَ آيَاتٌ فِي عِبَادِ حَمِيدَتِهِمْ
 لَهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَيَّ مِرْجَلٌ
 وَكَانَ الْحِجَازُ وَمَا سِوَاهُ كَمِيَّتٌ
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ كَافِرٌ إِلَّا الَّذِي
 وَأَتَى بِصُحُفِ اللَّهِ لَا شَكَّ أَنَّهَا
 فَمَنْ جَاءَهُ ذُلًّا لَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ
 فَيَا طَالِبَ الْعِرْفَانِ خُذْ ذَيْلَ شَرْعِهِ
 يُزَكِّي قُلُوبَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ
 تَرَأَى جَمَالَ الْحَقِّ كَالشَّمْسِ فِي الضُّحَى
 وَقَدْ اصْطَفَيْتُ بِمُهِجَتِي ذِكْرَ حَمْدِهِ
 وَقَوَّضَنِي رَبِّي إِلَيَّ قَيْضَ نُورِهِ
 وَهَذَا مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْمُحْسِنِ
 وَوَاللَّهِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ مُحَمَّدٍ
 وَفِي مُهِجَتِي قُوْرٌ وَجَيْشٌ لَأَمْدَحَا
 كَرِيمِ السَّجَايَا أَكْمَلُ الْعِلْمِ وَالنُّهَى
 بِشِيرٍ نَذِيرٍ أَمِيرٍ مَانِعٍ مَعَا
 هَدَى الْهَائِمِينَ إِلَيَّ صِرَاطِ مُقْوَمٍ
 لَهُ طَلْعَةٌ يَجْلُو الظُّلَامَ شِعَاغَهَا
 لَهُ دَرَجَاتٌ لَيْسَ فِيهَا مُشَارِكٌ
 وَمَا هُوَ إِلَّا نَائِبُ اللَّهِ فِي الْوَرَى
 تَخَيَّرَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ
 تَكَنَّفَ عَفْوَةً دَارِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ

وَنَجَّاهُ عَوْنُ اللَّهِ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدَا
فَقَاضَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ مِنِّي بِمُنْتَدَا
نُشَاهِدُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ تَجَدُّدًا
وَبَارِكْ حُرَّ الرَّمْلِ وَطُئًا وَقَرْدًا
فَأَصْبَحْتُ ذَا فَهْمٍ سَلِيمٍ وَذَا الْهُدَى
فَجِئْتُ لِهَذَا الْقَرْنِ عَبْدًا مُجَدِّدًا
فِدَى لَكَ رُوحِي يَا مُحَمَّدُ سَرْمَدًا
فَأَحْرَقْتُ بِلَدْعَاتِ وَقُومَتِ مَرَّصَدًا
فَوَاهَا لِمُنْجِ خَلِّصِ الْخَلْقِ مِنْ رَدَى
وَمِثْلِكَ رَجُلًا مَا سَمِعْنَا تَعَبَّدًا
وَمَا ضَاعَتِ الدُّنْيَا إِذَا الدِّينُ شُيِّدَا
لِكَ تَنْقِذَ الْإِسْلَامِ مِنْ فِتْنِ الْعِدَا
فَيَا لَيْتَ لِي كَأَنْتَ بِبِلَادِكَ مَوْلِدًا
وَكَيْفَ يُكْفِّرُ مَنْ يُوَالِي مُحَمَّدًا
عَلِيمٌ رَأَى مُسْتَهَامًا فَأَيَّدَا
وَأَيَّدَنِي رَبِّي وَمَا ضَاعَنِي سُدَا
لَمَّا كَانَ لِي حَوْلٌ لِأَمْدَحِ أَحَمَّدَا
فَلِنْ فُزْتُهَا فَسَأُحْشَرُنَّ بِأَلْمُقْتَدَا
وَمَا تَعْلَمُ هَذَا السَّرَّ يَا تَارِكَ الْهُدَى

فَأَذْرَكَهُ تَأْيِيدُ رَبِّ مُهَيِّمِنِ
تَذَكَّرْتُ يَوْمًا فِيهِ أُخْرِجَ سَيِّدِي
إِلَى الْآنِ أَنْوَارُ بِبُرْقَةِ يَثْرِبَا
فَوَجَّهَ الْمَدِينَةَ صَارَ مِنْهُ مُنَوَّرًا
حَفَا فِي جَنَانِي نُورًا مِنْ ضِيَائِهِ
وَأَرْسَلَنِي رَبِّي لِتَأْيِيدِ دِينِهِ
وَهَذَا مِنَ النُّورِ الَّذِي هُوَ أَحْمَدُ
أَمِرْتُ مِنَ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مُرْشِدًا
وَجِئْتُ لِتَنْجِيَةِ الْأَنْامِ مِنَ الْهَوَى
وَتَوَرَّمْتُ قَدَمَكَ لِلَّهِ قَائِمًا
جَذَبْتَ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ بِقُوَّةِ
وَأَرْسَلْتَ الْبَارِي بآيَاتِ فَضْلِهِ
يُحِبُّ جَنَانِي كُلَّ أَرْضٍ وَطُئْتَهَا
وَأَكْفَرَنِي قَوْمِي فَجِئْتُكَ لَاهِقًا
وَلَسْتُ بِذِي عِلْمٍ وَلَكِنْ أَعَانِي
وَوَالِلَهُ إِنِّي صَادِقٌ غَيْرُ مُفَنْتَرِ
وَوَالِلَهُ لَوْلَا حُبُّ وَجْهِ مُحَمَّدِ
وَمَوْتِي بِسُبُلِ الْمُصْطَفَى خَيْرٌ مِيتَةٍ
سَأُدْخِلُ مِنْ عِشْقِي بِرَوْضَةِ قَبْرِهِ

(كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص ٩٠ - ٩٥)

الله أكبر! ما أعذب هذه الكلمات التي تنساب من قلب محب يعلم قدر حبيبه، ويرجع إليه كل فضل ناله وكل خير أصابه، فتخرج هذه الكلمات من صميم وجدانه ومن أعماق فؤاده:

وَفَوَّضَنِي رَبِّي إِلَىٰ فَيْضِ نُورِهِ
وَهَذَا مِنَ النُّورِ الَّذِي هُوَ أَحْمَدُ
وَوَاللَّهِ لَوْلَا حُبُّ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ فَيْضَانِ أَحْمَدَ أَحْمَدًا
فِدَّةً لَكَ رُوحِي يَا مُحَمَّدُ سَرْمَدًا
لَمَا كَانَ لِي حَوْلُ الْأَمْدِ أَحْمَدًا

لقد مدح الكثيرون رسول الله ﷺ، وأنشد الكثير من الشعراء نعتًا لخير البرية، وقرأنا الكثير من قريض البلغاء والأدباء والشعراء، ولكننا لم نر أحدا يُعبّر عن مقدار حبه بهذا التعبير، ولم نسمع همسات قلب ينبض بهذه النبضات التي ملؤها الحب والعرفان والتقدير. فهل يمكن أن ينطق لسان كاذب بهذه الكلمات؟ هل يمكن أن ينبض قلب مفتر بهذه النبضات؟ هل حدث في تاريخ الكذابين والمفتزين الذين كانوا يفترون على الله الكذب أن صاغ واحد منهم حبه وشوقه وتقديره وتبجيله وامتثانه وعرفانه بفضل الرسول ﷺ عليه وعلى الأمة وعلى الإنسانية كلها، كما فعل هذا الرجل الذي يصمه أعداؤه بأنه كان - والعياذ بالله - كاذبا مفتريا؟ فليُرنّا هؤلاء كيف عبر الكذابون والمفترون عن حبهم لرسول الله، وليأت هؤلاء بأبيات الشعر التي أنشدتها مسيلمة الكذاب أو الأسود العنسي أو سجاح الكاهنة أو غيرهم ممن ادعوا النبوة كذبا، وليثبتوا لنا وللأمة الإسلامية كلها أن الكذاب الدجال الذي يفترى على الله كذبا يمكن أن تجيش مشاعره بهذا الحب الجياش، ويمكن أن تثور عواطفه بهذه المحبة الدفاقة، فيذوب وجدانه بأرق الكلمات وأعذب الألفاظ وأجل التعبير وأجمل البيان في حب المصطفى ﷺ. فإن لم يفعلوا.. ولن يفعلوا.. فليتقوا الله ربهم، وليقرأوا آياته مرة أخرى، لعل قلوبهم تدرك صدق الإحساس، أو يهتز وجدانهم لعمق المشاعر. (يُتبع)

وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ



إن حرص أسرة «التقوى» على تقديم المعارف الإسلامية الصحيحة قد تُوجَّح بفضل الله ورحمته مؤخرًا بنجاحها في تصميم مجموعة كتب عربية قيمة على رأسها تفسير سورة الفاتحة لحضرة الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي العليّ عليه السلام. بإمكانك عزيزي القارئ أن تطلع على هذه الكتب على الموقع الإلكتروني التالي:
http://www.alislam.org/altaqwa/arabic_books